

شعرية العنوان عند واسيني الأعرج- مقارنة تحليلية-

THE POETIC OF TITLE IN WASSINI LAAREDJ'S WORKS- ANALYTICAL APPROACH-

Abstract :

This study tends to show an analysis study of some novels of "WASSINI LAAREDJ", in order to show the techniques of making titles and the features of speciality on the level of text steps, because they pass the reader's imagination and transfer him from the reality of narration to the infinity of messages because it creates a special circle. This read tends to study the text steps of five novels, stating from the the title: the initial title and sub-titles.

That is why the reader who is conscious about the literary work tends to emphasize on the codes to create an intellectual relationship between elements of the text

Key words:

POETIC, TITLE, WASSINI
LAAREDJ'S LITERARY WORKS.

ملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى مقارنة تحليلية لبعض روايات واسيني الأعرج، بغية الكشف عن آليات العنوان و مظاهر التميز على مستوى العتبات النصية ، لما تمارسه من خرق لأفاق توقع القارئ فتنتقله من واقع السرد إلى لا محدودية الانبعاثات الدلالية ، مما يخلق بذلك حيزا مميزا لتهدف هذه القراءة إلى دراسة العتبات النصية لخمس روايات انطلاقا من دراسة العنوان: العناوين الرئيسية و الثانوية. لذلك فالقارئ الواعي بقيمة العمل الأدبي يعمل على التمعن في شيفراته، لخلق جسر فكري تواصل بين كل هذه العناصر النصية.

الكلمات المفتاحية:

شعرية / العنوان / أعمال واسيني الأعرج
الروائية.

مقدمة:

تتناقش النصوص الأدبية على أنها مجموعة من التركيبات اللغوية و الدلالية المتجانسة و الموسعة لتقديم فكرة , ولكنها في الحقيقة لا تقوم على هذا فحسب بل هناك موازيات نصية تحدد هويتها الثقافية وتميزها عن مثيلاتها. لذلك يعمل الأديب على انتقاء الأفضل لعمله من عنوان و غلاف ... هذه العتبات النصية التي تشكل أساسا تيمات دلالية و جمالية تدعم التركيب اللغوية الداخلية للنص , قد تكون هذه العتبات مطابقة للمحتوى النصي , أو غريبة عنه لتخلق نوعا من الإغراء و المراوغة تجذب القارئ أكثر و ترغمه على الغوص في أعماق العمل الأدبي. فالقارئ الواعي للعمل الأدبي يعمل دائما على قراءة العمل قراءة تامة، انطلاقا من العنوان و الغلاف وصولا إلى آخر جملة في العمل رساما بذلك جسرا فكريا تواسليا بين كل العناصر.

مفهوم العنوان :

لغة : تعود كلمة "عنوان" في لسان العرب إلى مادتي "عنن" و "عنا" "عنن : عن الشيء و يعن عنا و عنوانا ظهر أمامك . و عن يعن يعن و يعن عنا و عنوانا , و اعتن : ظهر و اعترض " (ابن منظور، دت، ص310) و بذلك فهي بمعنى الظهور و الاعتراض ، و عننت الكتاب و اعنتته لكذا , أي :عرضته له و صرفته اليه و عن الكتاب يعنه عنا , و عننته كعنونه (...). و قال اللحياني : عننت الكتاب تعنيانا , و عينته تعنية إذا عنونته (...). و سمي عنوانا لأنه يعن الكتاب من ناحيته (...). و يقال للرجل الذي يعرض و لا يصرح : قد جعل كذا و كذا عنوانا لحاجته " (ابن منظور، ص312). و "عنا : و معنى كل شيء : محتته و حاله التي يصير إليها أمره , و روى الأوهري عن أحمد بن يحيى , قال : المعنى و التفسير و التأويل واحد . و عنيت بالقول كذا : أردت : و معنى كل كلام و معناته و معنيته : مقصده (...). قال ابن سيده: العنوان و العنوان سمة الكتاب و عنونة و عنوانا , و عناه... و سمه بالعنوان " (ابن منظور، دت، ص316) فكلية العنوان هنا تحمل معنى " القصد و الإرادة " و أي كانت المادة الأصلية " للعنوان " فإن الدلالة المعجمية تبقى ذاتها.

اصطلاحا:

يعد العنوان المرشد الأساسي الذي يوصلنا إلى عمق المعاني فهو أشبه ب " الثريا التي تحتل بعدا مكانيا مرتقعا يمتزج لديه بمركزية الإشعاع على النص " (كاسد، سليمان، ص10). فهو لب العمل الأدبي و نواته المهمة حيث يقول " محمد مفتاح " : " إن العنوان يمدنا بزايا ثمين لتفكيك النص و دراسته , و نقول هنا إنه يقدم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النص و فهم ما غمض منه , إذ هو المحور الذي يتوالد و يتنامى و يعيد إنتاج نفسه فهو – إن صحت المشابهة – بمثابة الرأس للجسد , و الأساس الذي ينبني عليه فالعنوان يرتبط أشد الارتباط بالنص الذي يعنونه , فهو نص مختصر يتعامل مع نص مفصل " (دفة، بلقلم، 2005، ص41) إضافة إلى أنه " إظهار لخي و رسم للمادة المكتوبة , إنه توسيم و إظهار , فالكتاب يخفي محتواه , و لا يفصح عنه , ثم يأتي العنوان ليظهر أسراراه , و يكشف العناصر الموسعة الخفية أو الظاهرة بشكل مختزل و موجز " (بازي، محمد، 2012، ص11) فالعنوان في حد ذاته نص قائم بذاته غير أنه مختصر و مفعم بالدلالات المتنوعة يترأس نصا منفصلا.

و لم يعد العنوان يعتبر مجرد اسم عادي يحيل فقط على النص و تنتهي مهمته بل أصبح " إشكالية فنية, فهو عمل شعري جاء في حالة غير شعرية و هو قيد للتجربة فرض عليها ظلما و تعسفا. و مع ذلك فهو عادة أكبر من القصيدة /النص إذ له الصدارة و يبرز متميزا بشكله و حجمه و هو أول لقاء بين القارئ و النص , و كأنه نقطة الافتراض حيث صار هو آخر أعمال الكاتب و أول أعمال القارئ " (الغذامي، عبدالله، ص263) فهو بذلك لا يعد مجرد اجتماع لكلمات و رصفها إلى جانب بعضها البعض بل هو أكبر من ذلك لما يحمله من شحنات فنية و إحالات دلالية تختصر النص بكامله , لتنتقل القارئ فوق أجنحة الدلالة لتغو صبه في فضاء تأويلي حر يكون كاتبه قد خرج منه لتوه , ليسمح بذلك

للقارئ ببداية الرحلة ، فالعنوان بذلك " حلقة أساسية ضمن حلقات البناء الاستراتيجي للنص " (مداس، أحمد، 2007، ص41) بل يمكن اعتباره حقلا دلاليا إنتاجيا حيث" يعتبر من جهة إنتاجيته الدلالية، بمثابة علامة مفردة فالإنتاجية الدلالية للعنوان- على الرغم من ضالة عدد علاماته و اشتغال قاعدة تركيب واحدة غالبا في تنسيقها - تجعلنا بعده بمثابة عمل نوعي " (الجزار، محمد فكري، 2006، ص23) هذا العمل "العنوان" الذي يعد في حدد ذاته رمزا دلاليا مولدا للمعاني. إن كل عنوان " هو رسالة صادرة عن المرسل إلى المرسل إليه، وهذه المرسله مجهولة على أخرى ، فكل من العنوان و عمله مرسله متكاملة و مستقلة أما الوظيفة المحلية فتمثل التفاعل السيميويطي فصلا من أن دلالية أي مرسله تبرز عدها علامة كاملة أي ذات دال و مدلول ، ومن ثم يمثل العنوان علامة كاملة ، كما يمثل العمل هو الآخر علامة كاملة أخرى ، تأتي العلامة الجمالية بين العلامتين لتخلق علاقة وسيطة بين الاثنين"(سعد الله، محمد سالم، 2008، ص121-122) فالتفاعل السيميويطي متواجد بين العنوان ونصه ، ولكن ما يعزز تواجده و يسهل فهمه هو ذلك الرابط اللفظي الذي يجمع بينهما ، ليكون بذلك هو الرابط الأساسي بين المكونات النصية الداخلية منها و الخارجية

مقاربة تحليلية للعناوين عند واسيني الأعرج:

1/ سيدة المقام :

أورد واسيني الأعرج في هذه الرواية عنوانا رئيسا و آخر مزيفا ومجموعة من العناوين الداخلية:العنوان الرئيس سيدة المقام،العنوان المزيف مرثيات اليوم الحزين، أما العناوين الداخلية(مكاشفات المكان/ ظلال المدينة/ فتنة البربرية/حنين الطفولة/ محنة الاعتصاب/ الجمعة الحزين/ الجنون العظيم/ البحر المنسي/ حراس النوايا/ إغفاءات الموت/ نهايات المطاف) كأن العنوان المزيف مر بمراحل قبل تشكله النهائي ،تمثل في مجموعة العناوين الفرعية ، ويرتبط أساسا بأوسطها (الجمعة الحزين) وكأنه يحدد لنا هذا اليوم ويصفه لنا مصورا أحداثه. فقد بدأت عناوينه كسلسلة وصفية، وانطلاقا من التعرف على المكان و أسرارها لتتوسع بالتعرف على المدينة واصفا بذلك بدايات الفتنة وصولا إلى أهم حدث وهو رصاصة الجمعة الحزينة، وما تلاها من مأس حتى انتهى بهم الحال إلى نهاية المطاف.كل هذه الأحداث و الوقائع كانت تصويرا حقيقيا للآزمة السياسية في الجزائر ، على لسان بطلة الرواية "مريم" ، والتي انتزعت لقب "سيدة المقام"

العناوين الخارجية (الرئيسية): سيدة المقام

جاء تركيب العنوان الرئيسي تركيبا ناقصا النحوية (مبتورا)، فقد كان مركبا تركيبا إضافيا مكونا من مضاف و مضاف إليه ، طالبا بذلك قراننا لغوية لإتمامه على اعتبار أن أصله "هذه سيدة المقام" فقد حذف المسند إليه(المبتدأ) تاركا بذلك الباب مفتوحا لتأويلات القارئ وما سيسنده للخبر (سيدة) و مضاف إليه(المقام).

ولفظ السيدة هنا يحيلنا على لقب المرأة ، ولكن المتمعن في أصله وعلاقته بالمتن الروائي يربطه بعلاقة مباشرة بلقب "مريم العذراء" على اعتبار أن اللفظ مرتبط أساسا بهذه الشخصية ، وهو الاسم الذي انتقاه الروائي لشخصيته البطلة "مريم"، هذا ما يؤكد مدى الترابط بين العنوان و المتن الروائي وأن اختياره للعنوان واسم الشخصية لم يكن صدفة بل كان مدروسا و مؤسسا.أما القسم الثاني من العنوان "المقام" فيحيلنا على المكان الذي تدور فيه الأحداث ، وكأن الروائي يحاول وضع سياجا مكاني لأحداث الرواية و التي تنحصر في مكان إقامة البطلة مريم .ومن خلال العنوان الرئيسي تتشكل لنا صورة شبه تامة عن الحثيات الدلالية للرواية من خلال الإحالة على أهم مكونين للأحداث (الشخصية /المكان).

العنوان المزيف :مرثيات اليوم الحزين

أردف الكاتب عنوانه الرئيسي بعنوان ثانوي _ مرثيات اليوم الحزين _ ، وذلك بهدف مضاعفة الدلالة الإيحائية للعنوان ،وليقربه أكثر من المتلقي خالفا بذلك حلقة عنوانية تكاملية بارتباطها مع بقية

العناصر الروائية. فإذا أردنا تحليل هذا العنوان سنقسمه إلى ثلاث وحدات (مرثيات / اليوم / الحزين) ، لم يخرج عن تركيبة العنوان الرئيسي في بنائه (مضاف +مضاف إليه) زاد عنه فقط بصفة (الحزين) فقد أورد المبتدأ (مرثيات) على صيغة الجمع ليعطي بذلك سعة و امتدادا لحالة الحزن النفسي التي تسيطر على مسار الأحداث. نلاحظ أن العلاقة بين العنوان الرئيس و الثانوي علاقة غير عادية ، لا تشبه مثيلاتها فالمعروف أن العنوان الفرعي يكون دائما شارحا للعنوان الرئيسي، لكنه شذ عن المألوف في هذا العمل فقد أحدث في نفسية القارئ ما يشبه الصدمة أو المفاجئة غير المتوقعة . فبعد الاستقرار "النفسي الذي منحه لنا العنوان الرئيس خاصة من خلال ربطه بشخصية "مريم العذراء" بصفاتها و نقائها ، يأتي العنوان كصدمة كبيرة لما يحمله من حزن وانكسار من خلال لفظتي (المرثيات) (اليوم الحزين) . إن الملاحظ للعناوين الداخلية للرواية بجدها تسير وفق تركيبين اثنين التركيب الإضافي و التركيب الوصفي وهذا ما يحيلنا على إصرار الروائي على اعتماد العناوين السمية باعتبارها واصفة و مجسدة أكثر من الفعلية وقد أوردتها كما يلي :

أ/ التركيب الإضافي :

1_ مكاشفات المكان : تكون هذا العنوان من مبتدأ (مضاف) + مضاف إليه، فاللفظة الأولى منه تدعو إلى التعرية و المواجهة للتعرف على خبايا الشيء ، أما المكان فيدل على الفضاء المادي المنفتح على مجموعة الأشياء مهما كانت بساطتها ، فهذا العنوان يقوم على مفارقة بين مكوناته (الفاظته) على اعتبار اللفظة الأولى تحت على الانفتاح و التعرية هذا الأمر الذي لا يكون إلا لشيء مغلق لا يمكن أن يكون المكان ، لأنه مكشوف أصلا و لا يحتاج إلى مكاشفة ، وقد حمل دلالة الحزن و الانكسار .

2 ظلال المدينة : يتكون هو الآخر من (ظلال = مبتدأ)، المدينة (مضاف إليه) ، تكون وحدتين الأولى زمانية والثانية مكانية ، فالظلال توجي بعدم الديمومة والاستمرار كما تحيلنا على التقدم المفاجئ و التغير دون إحساس ، أما المدينة فتتغير معانيها عند الناس كل حسب موقفه منها " مدينتنا سرقت مثلما تسرق النجوم . أصبحت قديمة و عتيقة كأنها ميت يخرج من تحت الأنقاض . الظلال الممتدة تملأ شوارعه التي بدأت تتآكل ... لاشيء تغير في هذه المدينة الحزينة التي تموت يوميا..." (الأعرج، واسيني، سيدة المقام، 2007، ص33)

3/فتنة البربرية : لم يخرج عن لتركيب الإضافي السابق (فتنة"مضاف" ، البربرية " مضاف إليه") لكنه نقلنا من خطية العنونة الزمنية و المكانية إلى بداية الحدث الأساس و المتمثل في الرصاصة التي أصابت مريم وهو الحدث الذي يمثل القنبلة المفجرة للأحداث السردية في الرواية " حين سكنت الرصاصة الطانشة دماغها ، تغيرت فيها أشياء كثيرة"(الأعرج، واسيني، سيدة المقام، 2007، ص59) كانت هذه الرصاصة بمثابة الفتنة التي غيرت سيرورة الأحداث ، و التي أنهت إحدى المراحل الجميلة في حياة السارد البطل ، حاملا معه محنة و تفككا .

4/ حنين الطفولة: يعيدنا هذا العنوان مجددا إلى الاستقرار و الابتهاج النفسي وذلك لما حمله من براءة المرحلة و بساطتها و نقائها، مما يجعل الإنسان يهرب إليه بالحنين ثم بالذكريات التي تنقلنا إلى صفاتها و شفائيتها، ليتراخى بذلك البطل محاولا إطفاء التذكر.

5/ محنة الاغتصاب : نقلنا الكاتب مرة أخرى من صفاء المرحلة ونقائها إلى السواد و الحزن مرة أخرى ، فالمحنة تحيلنا على الخسارة ، الأضرار ، الألم ، العنف ، لكره ، تحيلنا على كل ما هو مؤلم ، وكذلك هي لفظة لاغتصاب التي تقودنا نحو لألم النفسي و الظلم من خلال أخذ حق ليس لصاحبه الأصلي مما يخلق حقدا و سوداوية نحو الأشياء .

6/ حراس النوايا : تركيب هذا العنوان جاء على صيغة الجمع (حراس " ج : حارس" ، النوايا " ج : نية") وهو عنوان غريب التركيبية فالحراسة عادة تكون على الأشياء المادية وهذا ما ينقل لنا ما يشبه السخرية فهل يمكن للنية أن يكون لها حارس ؟. " حراس النوايا لا يتدخلون عادة بعنف إلا عندما يكون الرجل مصحوبا بمرأة. أو يشمون رائحة الأجساد التي تعيش لحظة عنفوان شائقة ... عليك أن تقبل لان النقاش سيقودك إلى تعميق الأزمة "(الأعرج، واسيني، سيدة المقام، 2007، ص220) ، مما

خلق محنة التفكك ، و التوتر و الخوف الدائم الذي سيطر على المسار الروائي ليتطور في بعض الأحيان و يتحول إلى عنف همجي.

7/إغفاءات الموت : بدأت ملامح الموت ومؤشراته تظهر من خلال العناوين فهاهي ذي إغفاءاته التي تقربه من الانتهاء بدأت بظهور ، فالكاتب بدأ يظهر نهاية الرواية الحزينة من خلال عنوانه ما قبل الأخير الذي يؤشر بالموت و النهاية المؤلمة.

8/ نهايات المطاف: لم تكن النهاية واحدة بل كانت نهايات ، وذلك لتصوير حجم الفاجعة ، فهذه النهايات جاءت بعد إغفاءات الموت ليغلق لنا السيرة السردية فالموت لم يكن واحدا ، وحتى وان كان كذلك فان نهاياته كثيرة و متعددة " مطر من الدم يسقط ... كانت البلاد تذبح نفسها بقوة، وبعناد كبير. الوطن ينتهي و يصير أوطانا . القبائل تتحول إلى مداشر ، والمداشر تصغر لتصير غيرانا ...وفرسان البلاد القديمة يبحثون عن موتهم خارج النهايات المبتذلة" (الأعرج،واسيني،سيدة المقام،2007،ص283)

ب/التركيب الوصفي :

- الجمعة الحزينة : يتكون من وحدتين دلالتين الجمعة (موصوف) +الحزين (صفة) وتمثل الوحدة الدلالية الأولى وحدة زمنية تمثلت في يوم الجمعة و الذي صادف تاريخ 07أكتوبر1988 وهو التاريخ الذي يمثل اليوم المشؤوم الذي أصيبت فيه مريم ، كما يحمل مدلولات دينية تتمثل في خلق الكون و يوم القيامة .

- الجنون العظيم : لم يختلف التركيب عن سابقه (موصوف + صفة)، والجنون في الرواية مرتبط بالشخصية الأساسية "مريم" حيث كنت تعيش جنونا في تحديها لحراس النويا واعتراضهم على مهنة "مريم" الرقص ، جنونها في حبها لأستاذها ، لكن الجنون الأعظم ظهر من خلال تحديها للموت و للرصاص الذي اخترق رأسها ، فكان جنونها عظيما عظم شخصيتها .

- البحر المنسي : النسيان صفة مؤقتة و أنية وليست دائمة ، ارتبطت بالبحر الذي يوحى بالراحة تارة ، وبالوحشة و الخوف تارة أخرى ، فقد مثل أيقونة سردية تضيف إحياءات وجو خاص يحمل الفرح و لوحشة معا . " ما أودك أيها البحر في عزلتك المفجعة " (الأعرج،واسيني،سيدة المقام،2007،ص187) ، وهذه العزلة و النسيان لن تطول كثيرا .

2/البيت الأندلسي :

تدور أحداث هذه الرواية حول بيت تعود ملكته لصاحبه الموريسكي الأصل و المهجر من الأندلس ، و التي عثر فيها على مخطوطة ثمينة لسيدي أحمد بن خليل " غاليليو " و قد قسم الكاتب روايته - كعادته- إلى مجموعة من الفصول على النحو التالي :

استخبار ماسيكا و الذي كان بمثابة التمهيد للرواية لوضع القارئ في الجو العام للرواية من تحديده لبدائية الأحداث و تعريف القارئ بالشخصيات و الخطوط العامة للأحداث. ليشرع مباشرة في الفصل الأول " نوبة خليج الغرباء و الذي قسمه هو الآخر إلى مجموعة من الأوراق التي تركها جد " مراد باسما " أحمد بن خليل المدعو " غاليليو " ثم الورقة الثانية و تلتها مباشرة الثالثة .

ثم الفصل الثاني " وصلة الخيبة و التي ضمنها الأوراق الثلاثة الموالية. أما بقية الأوراق السابعة و الثامنة و التاسعة و العاشرة فقد وضعها تحت عنوان إيقاعات الحرف السري من خلال فصله الثالث ليأتي الفصل الرابع و الذي ضمنه أوراقا لحفيذة غاليليو أتبعها لأوراق جدّها و هي الورقة الحادية عشرة و الثانية عشرة ، تحت عنوان في مقام الرماد ، ليختمها في الفصل الخامس بلمسة سيكا الناعمة .

و قد اعتمد واسيني الأعرج على السرد التاريخي من خلال عودته إلى تهجير الموريسكيين من بلاد الأندلس ، و خضوعهم لمحاكم التفتيش و معاناتهم الشديدة من اضطهاد السلطة و الكنيسة إضافة إلى هروبهم إلى الجزائر من خلال بواخر لنقل البضائع و استقرارهم بها ، لتعود المعاناة من جديد ، من

خلال محاولة السلطات أخذ البيت الأندلسي من صاحبه " مراد باسبا " و معاناته من مضايقات بعض العصابات و السماسرة , لتتجح هذه الأخيرة في أخذه منه و لو كان ذلك بتخريبه .
العنوان الخارجي " البيت الأندلسي " :

جاء تركيب العنوان – دائما – مبتورا (ناقص النحوية) , فقد كان مركبا تركيبيا إضافيا , مما يستدعي قرائن لغوية لإتمامه " هذا البيت الأندلسي " فقد حذف المسند إليه (المبتدأ) تاركا بذلك الباب مفتوحا أمام القراءات و ما سيسنده إليه , ثم خبر (البيت) و مضاف إليه (الأندلسي) و لفظ " البيت " هنا يحيلنا على الاستقرار و الأمان و الاحتواء , و لعل القارئ الواعي الذي يربط العنوان بالمتن الروائي يجد أن البيت بالنسبة للروائي يحيلنا على الأصل و الجذور , إضافة إلى إحالته على موطن الأسرار و التحف و التاريخ. أما القسم الثاني " الأندلسي " فهو اسم منسوب إلى الأندلس , و هي الأرض التي فقدتها العرب نتيجة تخاذلهم و ضعفهم , و هي أملمهم و جنتهم المفقودة , و يحيلنا مباشرة على أصل هذا البيت.

فالروائي من خلال هذا العنوان يحيلنا على روح البيت لأعلى أصله المادي , فالبيت يقع أساسا في الجزائر لكن تاريخه و روحه يعود إلى أصحابه الأولين النازحين من الأندلس , و بقيت سيرتهم و روايتهم تقو حى هذا العصر و ذلك نتيجة للمخطوطة التي عثر عليها " مراد باسبا " في هذا البيت و التي تركها جده " الروخو "

انطلق الكاتب في روايته من تمهيد لتحديد الإطار العام للرواية و التي منحها عنوان " استخبار ماسيكا " و الاستخبار " قطعة موسيقية أندلسية افتتاحية صغيرة " (الأعرج،واسيني،البيت الأندلسي،2010،ص7) , و قد ربطه بماسيكا و هي الشخصية السردية التي أدخلتنا جو الرواية من أوسع أبوابها من خلال هذا التمهيد , لتبدأ الرحلة الروائية مع أول فصل " نوبة خليج الغرباء " و النوبة هي " مقام موسيقي أندلسي " (الأعرج،واسيني،البيت الأندلسي،2010،ص35) ربطها بالخليج و هو الطريق الذي قاد البطل إلى غربته حيث أبعدته عن أرضه و أهلها على اعتبار أن هذا البحر أو الخليج لا يشق عبابه إلا الغريب أو المغرب .

الفصل الثاني " وصلة الخيبة " , و الوصلة هي " المقطوعة الرابطة بين إيقاعين مختلفين " (الأعرج،واسيني،البيت الأندلسي،2010،ص103) (في الموسيقى الأندلسية) , و قد انتقل الروائي من مرحلة زمنية إلى أخرى , من معاناة البطل من وطأة محاكم التفتيش و عنفها إلى استقراره بالجزائر , كان هذا الفصل بمثابة همزة وصل بين المراحل التاريخية , كان انتقال البطل ناجحا إلى الجزائر و أوضاعه في تحسن مستمر , لكن خيبته التي نتجت من فقدانه لحبيبته بقي بلا حقه و يأنبه , إلى أن تمكن شقيقها من ترحيلها هي الأخرى إلى الجزائر و الجمع بينهما , لتجدد الخيبة و تدوم من خلال اغتيالها و اغتصاب البيت و أخذه بقوة.

الفصل الثالث " إيقاعات الحرف السري " كان طعم هذا الإيقاع مختلفا عن سابقين و ذلك من خلال ترنم البطل به و استساغته لطعمه , و ذلك لتمكنه من كشف المجهول و المتمثل في فك شيفرات المخطوطة و قدرته قراءة لغة " الخيميد " التي كتبت بها المخطوطة. و قد جمعت الوصلة بين النوبة و الإيقاعات " و ذلك من خلال جمع حقيبتين تاريخيتين متباعتين زمنيا من خلال المعاناة المشتركة (المطاردة , التهديد بالقتل , الملاحقات ...) إضافة إلى نجاعة هذه اللغة التي استحدثت نتيجة الخوف في كلا العصرين.

الفصل الرابع " في مقام الرماد " هذا الفصل الذي يخفي فيه صوت " سيدي أحمد بن خليل المدعو غاليليو " احتراقه , ليولد من رماده و من سلالاته – حفيده – من يكمل سيرته و تدوين أسرار ه و هي مارينا بلاثيوس بن خليل.

الفصل الخامس " لمسة سيكا الناعمة " فكما بدأت ماسيكا الرواية ختمتها , ختمتها بلمستها الناعمة بأن أعطتها النهاية , هذه النهاية التي كانت مؤلمة للجميع غير أن الأمل يبقى قائما دائما.

3/ كريمتاويوم (سوناتا لاشباح القدس):

تدور أحداث هذه الرواية حول رسامة تدعى "مي" فلسطينية لمولد و النشأة و الروح و الدم ، تعيش بنيويورك . أصيبت بمرض ألزهايمر المستشفى و اذهب الكثير من نشاطها و حبها للحياة ، وقد قررت هذه الأخيرة أن تمنح جسدها لأرضها وذلك من خلال وصيتها التي خلفتها لابنها "يوبا" من خلال منحها جسدها للمحرقة ، وينثر رمادها على نهر الاردن ، ليصل بذلك رمادها الى جذور الارض عليها تحيي القدس العريقة وعلى قبر امها واخيها وخالها ، وعلى قبر يوسف حبيبها .

وقد قسم الكاتب هذا العمل الى مجموعة فصول :

- وصايا امي : كانت بمثابة افتتاحية للرواية ، تضمنت ثلاث وصايا موجهة من مي لابنها يوبا الذي شرع في تنفيذها مباشرة بعد وفاتها من خلال اتجاهه المباشر الى فلسطين حاملا معه رماد جسد امه لينثره حسب وصيتها على المناطق التي حددتها له .

- الفصل الأول عطش البحر الميت : يظهر هذا العطش من خلال مدونة يوبا الموسيقية التي يعمل على إكمالها من اجل والدته لكنه في كل مرة يعجز عن ذلك ، مما تجعل مي تتمنى لو يطول عمرها فقط من اجل الجلوس في الصفوف الامامية للأوبرا ، و سماع تنمة هذه المقطوعة .

الفصل الثاني مدونة الحداد و التي منحها عنوانا آخر داخلي " بكبرياء اللون وهشاشة الفراشة ساعبر صراط الخوف" و التي تصور فيها فترة مكوث مي بمستشفى نيويورك المركزي من 20 سبتمبر 1999 الى فجر الخميس 01 حانفي 2000 و مواجهتها لمصيرها ، هذا القدر الذي تحدثت من خلال محاولة وصولها إلى ألوان فراشات القدس وذلك من خلال مزجها للألوان في لوحاتها ، هذه اللوحات التي كانت بمثابة الطريق السيمفونية التي بدأت تعبد لها طريق الموت و التي تصور الحزن و الألم والسواد الذي سيعم حياة مقربيه بعد رحيلها.

الفصل الثالث سوناتا الغياب وهو الفصل الأخير في هذه الرواية و الذي يحمل في تقاسيمه ملامح الرحيل هذا الرحيل الذي يحيلنا بشكل مباشر على النهاية ، هذه المعزوفة التي تمكن يوبا من الانتهاء من تدوينها ، و تقديمها كهدية لروح والدته التي طالما حلمت بسماعها.

العنوان الرئيس :

العنوان الرئيس بخط كبير و حجم بارز " كريماتوريوم" مدعما بالشكل ، وهذه الكلمة غير عربية وتعني الفرن الكبير الذي تحرق فيه أجساد البشر لينتج عنها إماراد أو غاز أو شكل بلوري يوضع في قلادة "الكريماتوريوم Crematorium الذي يعمل على درجة 850 درجة مئوية مما يسمح بتبخير الجسد الذي يتحول إلى غاز و غبار خفيف و لا تبقى منه إلا العظام التي يمكن الاحتفاظ بها كما هي لدفنها...أو طحنها ووضعها في أواني فخارية أو نحاسية أو رخامية مخصصة لذلك....أو الاحتفاظ بالماس بدل الميت...استقدنا من التكنولوجيا الجديدة التي يمكنها أن تحول جسد الميت إلى الماس أزرق مستخلص يمكن الاحتفاظ به المدة التي نشاء"(الأعرج ،واسيني،كريماتوريوم،2009،ص115)

ولعل العنوان يحيلنا مباشرة على أصله اللاتيني المحرقة وهو المصير الذي اختارته "مي" لتكون عليه نهايتها، هذه النهاية التي جاءت بعد معاناة من البعد عن وطنها ومنعها من دخوله ولو لمرة واحدة في حياتها ، هذا الوطن الذي أجبرت على مغادرته وهي صغيرة وبقيت تتمنى العودة إليه وهي كبيرة ، تمكنت من تحدي هذا الحنين و الألم وان تزوره وهي ميتة ، تزوره على شكل غبار هذا الغبار الخفيف الذي ينتقل إلى كل زاوية من القدس ليحتضنها ليشم مجددا روائح دروب القدس و حوانيتها ، ليتغلغل في وسط الناس ويتذوق طعامهم ويعيش معهم الآلامهم ، لتستقر في ارض منعت من زيارتها وهي حية لكنها لم تمنع منها و هي ميتة ، ستعود إلى أمها وخالها غسان لتعيش طفولتها من جديد ، وتشارك يوسف أحلامه و أفكاره.

- العنوان المزيف:

سوناتا لأشباح القدس وتعني معزوفة لأشباح القدس " اعراف أن القدس لم تعد قدسي لقد سكنتها أشباح كثيرة لم اعد اعرافها" (الأعرج ، واسيني، كريماثوريوم، 2009، ص62) هذه الأشباح التي أبعدتها عن القدس لتسكن به ، أو لتحل محلها تمثلت سوناتا يوبا التي طالما حملت مي بسماعها ، تمثلت في معزوفة ارتبطت أساسا بالقدس وساكنيها اليوم ، هذه السوناتا التي تحمل في طياتها الكثير من الحزن والألم الذي نتج من تأثره بحالة والدته ، ونتيجة إلى كثرة حديثها عن رغبتها في أن تدفن في القدس خاصة بعد رفض السلطات طلبها العودة ، لذلك ارتبطت هذه السوناتا بأشباح القدس التي صارت مي واحدة منهم خاصة بعد نومها على أرضها وتغلغل جسدها بين حبات تربتها ، ليعزف لها ابنها يوبا هذه السوناتا لتحس بقمة النشوة وترقد صافية البال .

4/أصابع لوليتا:

لوليتا (نوة) كانت صانعة الحدث و محركة الأحداث، منذ بداية العمل تظهر سيطرتها بحضورها الملفت، و جمالها الساحر، و أناقتها الملحوظة، وعطرها الأسر، هذا العطر الذي أيقظ حواس " يونس مارينا" وادخله دوامة الجنون منذ بداية الرواية. كان " يونس مارينا " غارقا في توقيع عمله الروائي الجديد " عرش الشيطان" في معرض فرانكفورت للكتاب ، هذا العمل الذي ترجمته "إيفا" إلى اللغة الألمانية، كان يشم عطرا استثار حواسه دون أن يتعرف على صاحبه أو يراها ، عطر سيق الجسد ، الجسد الذي تحول فجأة إلى أيقونة للجمال ، وملخص للمرأة و الأناقة بمجرد وقوفها أمامه ، الأمر الذي ادخله دوامة من التساؤلات " من أين خرجت ؟ أي وجه؟ ملامح خطت بنعومة مدهشة و كأنها خرجت من لوحة استشرافية بألوان زيتية متهادية نحو النعومة و السكينة . عينها تنغرسان بسرعة في الأشياء التي تحيط بها كان زاوية نظرها مفتوحة على اتساع 180 درجة ؟ احسب انه رآها قبل هذه اللحظة. أين؟ تسأل. مثل قطة تستقر على مكان ، كلما سمعت صوتا متأنيئا من زاوية ما كأنها معنية به ، تلتفت بسرعة قبل أن تعود لوضعها الأول مع حركة آلية لشعرها الذي ينسدل على وجهها ، فتسحب قليلا إلى الوراءتأكد أخيرا من أن العطر الساحر الذي شمه ، منذ اللحظة الأولى من جلوسه في المكان كان منها ومن باقتها"(الأعرج، واسيني، أصابع لوليتا، 2012، ص26) .

تتطلق رحلة يونس مارينا منذ الانقلاب العسكري الذي عاشته الجزائر بعد الاستقلال على ما اسمها برئاسة "الرئيس بابانا" ، حيث انه كان كاتب مقالات لإحدى المجلات المنتمية لتنظيم سري ضد الانقلابيين . اختار لنفسه هذا الاسم المستعار بدلا من اسمه الحقيقي "حميد السويرتي"، نال يونس مارينا إعجاب القراء و رضاهم ، نتيجة قدرته العالية في الحصول على المعلومة . لكن سطوة الانقلابيين و بطشهم تمكن من الوصول إلى أفراد هذا التنظيم لتقبض على بعضهم و يفر البعض الآخر، و الذي كان يونس مارينا احدهم. تمكن يونس من مغادرة البلاد لكنه واجه العديد من المخاطر نتيجة ملاحقته من طرف حراس النوايا الذين يرون فيه شخصية مرتدة تلحق الضرر بالدين الإسلامي ليتم اختيار لوليتا لتصفية يونس ، كانت على استعداد تام للقيام بهذه المهمة بعد الانكسارات النفسية التي عاشتها من فشل عاطفي ، ونفور شديد من جسدها الذي أشعله والداها كورقة رابحة في إحدى صفقاته التجارية الخاصة بالأقمشة، مما ولد لديها رفضا لذاتها و الهروب من جسدها ، على الرغم من انه يشكل أيقونة للموضة و الجمال تتسابق أشهر دور الأزياء و الموضة للظفر بعرض منها .

هذا الجسد الذي غير نظرة "يونس مارينا" للحياة ، نقله من حالة الخوف الدائم إلى حالة من العشق و الحب للحياة، لم يكن يعلم أن هذا الجسد ما هو إلا قنبلة موقوتة تنتظر الوقت المناسب لتنفجر و تخلص العالم من كاتب هارب معارض للحكم و لسلطة . كانت لوليتا تعلم أدق التفاصيل عن حياة يونس ، وكانت كل مرة تقاؤه ببعضها إلا أن حبه لها و عشقه ابعد الشكوك عنها ولم يدفع و لو للتفكير بحقيقتها.

تتطور الأحداث لتصل في النهاية إلى موعد تنفيذ العملية ليلة استقبال السنة الميلادية بباريس ، أين تتقاج لوليتا بهدية يونس و المتمثلة في لوحة تشكيلية "الضوء و العتمة" أو ما كان يسميها بلوحة "الذبابية" ، هذه اللوحة التي حالت دون تفجير لوليتا لنفسها بجانب يونس ، لكن الأمر لم ينته هنا بل المفاجئ في الأمر هي اللحظة التي يسمع فيها الكاتب طرقة على الباب و خطوات متلاحقة تنزل من المصعد ، و صوت ينادي " افتح الباب يا سلطان حميد سويرتي ... افتح يا حميد زازو ... افتح يا يونس مارينا ... كان الصوت يحمل الموت في نبراته " (الأعرج، واسيني، أصابع لوليتا، 2012، ص436)، "علته رجفة أخيرة و حمى باردة " (الأعرج، واسيني، أصابع لوليتا، 2012، ص423) ، أدرك من خلالها يونس أن الأمر لم ينته بتفجير لوليتا لنفسها بل إن الموت أصبح موتان ، موت قلبي نتيجة وفاة حبيبته ، و موت جسدي بوصول ذئاب العقيد إلى مكانه " اغمض عينيه لكي لا يرى إلا ما يشتهي ، تسربت إلى أنفه رائحة ثقيلة ، من تحت الباب و من بقية الفجوات الأخرى التي كانت تعبر من خلالها بعض خيوط الضوء التي قلت . لأول مرة يقتنع بأن للموت رائحة ليست ككل الروائح " (الأعرج، واسيني، أصابع لوليتا، 2012، ص438) و قد قسم الكاتب العمل إلى ستة فصول منح لكل منها عنوانا يرتبط بأحداثه ، كانت هذه العناوين من أصعب العناوين دلالة و دراسة ، إذا اعتمد فيها على أسلوب السهل الممتنع إذ يمنح عنوانا بسيطا محدود الدلالة على غير عاداته ، و قد جاءت كالتالي :

الفصل الأول : و الذي عنونه ب " أمطار خريف فرانكفورت " امتد على طول 92 صفحة جاء هذا العنوان بمثابة إطار زمكاني للأحداث إذ يمثل هذا الفصل تصويرا للجو العام لتوقيعه روايته الجديدة " عرش الشيطان " بمعرض فرانكفورت للكتاب و الذي كان في فصل الخريف ، كان هذا الفصل البوابة الأولى لإدخالنا للأحداث من خلال لقائه لوليتا في هذا المعرض.

الفصل الثاني : " على حافة انتظار لا ينتهي " هذا الانتظار الذي كان يسيطر على " يونس مارينا " بعد تعرفه على لوليتا ، كان ينتظر منها مكالمات هاتفية ، في حين كان رجال الشرطة يتابعون كل تحركاته و يراقبونه دون توقف ، من أجل حمايته ، خاصة بعد التهديدات التي وصلت في الآونة الأخيرة .

الفصل الثالث: Lights in the Fashion week امتد هذا الفصل في تسعة وستين صفحة، وقد حمل هذا العنوان اسم عرض أزياء الخريف الذي ستنشرك فيه لوليتا، و التي دعت يونس لحضوره، وقد كان أول عرض لها يشاهده ويحضره.

الفصل الرابع "كوفية أمي الحمراء" قسمه إلى ثلاثة أيام، أورده في سبعة وأربعين صفحة كان هو اصغر الفصول حجما، لكنه أكثرها ذاكرة وعودة إلى الماضي. أراد من خلاله تدوين رحلته إلى برشلونة التي أقام بها لتغيير الجو البائس الذي كان يعيشه نتيجة بعد لوليتا عنه، أين أعادته الذاكرة إلى أمه التي لم يستطع استيعاب وفاتها " إلى اليوم لم استوعب وفاتها و انطفاءها . يما جوهرة دائما هنا حيث تركتها للمرة الأخيرة بعد أن وضعت الكوفية الحمراء على عنقي وهي تكرر أعراف أنك لا تحب الكوفيات و لكنها صنعة يدي. كبيرة و ستقيك برد هذا الشتاء القاسي"(الأعرج، واسيني، أصابع لوليتا، 2012، ص271)

الفصل الخامس : أسرار الخلايا النائمة ، عاد مارينا من جديد إلى باريس التي صارت تسبح في جو مرعب من الخوف و الترقب الدائم خوفا من الخلايا الإرهابية التي كانت تحضر لأعمال إجرامية ، تحضر لتفجيرات في المطارات الفرنسية و ميتر و باريس ، مستهدفة بذلك ما يسمونه بأعداء الإسلام ، وقد عملت الشرطة على "الكشف عن الخلايا النائمة التي كانت تحضر لارتكاب أعمال إرهابية في المطارات الفرنسية و ميتر و باريس تعيش بتهريب العملة و المخدرات و مساعدات بناء المساجد التي كان جزء كبير منها يحول بطرق ملتوية نحو هذه الخلايا " (الأعرج، واسيني، أصابع لوليتا، 2012، ص313) . لتعود به الذاكرة إلى حادثة الألماي الذي التقاه في حفل توقيع الرواية ، و

الذي كان معارضا لهذا المنتج الأدبي الجديد "تذكرت حادثة بسيطة ولا أرى إن كانت لها أهمية تذكر ، سوى كونها تعبيراً خاصاً عن الرأي . أثناء حفلة التوقيع ، جاءني شاب كان يريد أن يشتري رواية عرش الشيطان ، ثم تراجع وهو يستمع إلى أغانيه طبعاً لأمني على موقعي من الإسلام ثم انسحب " (الأعرج، واسيني، أصابع لوليتا، 2012، ص328) "الشباب يبدو عليه انه خارج هذه الأرض على الرغم من بعض تصلبه الدينيربما داخل عالم المخدرات ؟... يبدو أن الأمر ليس بكل تلك البساطة . استدعاه الأمن الألماني وعرفوا منه انه تلقى أوامر خاصة من جهة من الجهات باغتياله، قبل أن تطلب منه الجهات نفسها الانسحاب من المعرض بسرعة" (الأعرج، واسيني، أصابع لوليتا، 2012، ص329).

الفصل السادس "فصل أخير في جحيم التيه" قام هذا الفصل على واحد و سبعين صفحة ، تحدث فيه عن أيامه الأخيرة في باريس ، كان شتاء مثلجا مشارفا على استقبال سنة ميلادية جديدة ، قادتته الذاكرة لاستعادة أحداث مرت على حياته شكلت له جانبا مؤلما من حياته ، لكن مواعده مع لوليتا بدد بعض هذا الاستياء ليرسم هذا اللقاء آخر سطور حبه وحتى حياته. تذكير: حاول من خلال هذه الصفحات الست الأخيرة وضع ملخص لعمله وما استنتجه و خرج به من هذه التجربة القاسية الممتعة لجعلها بمثابة شكر و تقدير لهن، لكل من رسمت معالم إبداعه وأدبه وحتى رجولته .

العنوان الخارجي "أصابع لوليتا":

جاء تركيب العنوان مصاغاً على نفس منوال سابقه، أي مبتوراً مركباً تركيباً إضافياً، مما يتطلب قرائن لغوية "هذه أصابع لوليتا" ، فقد حذف المسند(هذه) لإعطاء انفتاحية نصية أوسع على العنوان. ولفظة أصابع تحيلنا على الحركة و الجسد ، فإذا أردنا الربط بين العنوان و المتن الروائي نجد أن "أصابع لوليتا" تحيلنا على الشخصية البطلة في الرواية ، و التي تمثل لنا عمود الجمال على اعتبار أنها عارضة للأزياء ، لذلك عمد الكاتب إلى اختيار الأصابع دون سواها لما تحمله من علامات جمال الجسد من نظارة وتعدد مواطن الزينة بها من أظافر أو خواتم وإكسسوارات "...وأصابعي لشركة مستحضرات طبية لا اعرف إلى اليوم لماذا يشترون أصابعي فقط ويدي بشكل مستمر ؟ اعرف أن لي أصابع غريبة بطولها و لكنها مليئة بالحياة" (الأعرج، واسيني، أصابع لوليتا، 2012، ص26). هذا ما كانت لوليتا تصف به أصابعها التي باعتها لشركة من أجل الدعاية، قد يكون ظاهر العنوان يحمل هذا المعنى، كما أن الدلالة ستختلف لو ربطنا علاقة لوليتا منذ بداية الأحداث وحتى نهايتها بمحاولة تصفية "يونس مارينا" ، فقد تكون الأيدي التي كانت تلاحق يونس قد اعتمدت على لوليتا كأصابع لها لتنفيذ مخططها ، وكما هو معلوم أن التقاط الأشياء باليد يعتمد على حركة الأصابع ، فان فشلت تدخلت اليد ككل ، خاصة في الأمور الدقيقة . كذلك هو الأمر مع "لوليتا" لما فشلت في قتل يونس تدخلت اليد التي كانت تسيرها لإتمام المهمة، و الإمساك بالهارب المطارد.

قائمة المراجع:

- ابن منظور.(دت).لسان العرب.(دط).بيروت-لبنان.دار صادر للطباعة و النشر.
الأعرج، واسيني.(2012). أصابع لوليتا.دط. منشورات الفضاء الحر.
الأعرج، واسيني.(2010). البيت الأندلسي (Mémorium). الطبعة الأولى.بيروت.منشورات الجمل.
الأعرج، واسيني.(2007). سيدة المقام (مرثيات اليوم الحزين).دط.موقف للنشر.
الأعرج، واسيني.(2009). كريما توريوم (سوناتا لأشباح القدس).دط.منشورات الفضاء الحر.
بازي، محمد.(2012). العنوان في الثقافة العربية " التشكيل ومسالك التأويل". الطبعة الأولى.الرباط.دار الأمان.

الجزار، محمد فكري. (2006). العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي. دط. مصر. مكتبة الأسرة. دفعة، بلقاسم. (2005). عالم السيمياء و العنوان في النص الأدبي. محاضرات الملتقى الوطني الأول ، منشورات جامعة محمد خيضر. بسكرة-الجزائر.

سعد الله، محمد سالم. (2008). ما وراء النص (دراسة في النقد المعرفي المعاصر). الطبعة الأولى. الأردن. جدار للكتاب العالمي.

كاسد، سليمان. (2003). عالم النص دراسة بنيوية في الأساليب السردية "فؤاد تكرلي أنموذجاً". (دط). الأردن. دار الكندي.

مداس، أحمد. (2005). لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري. الطبعة الأولى. الأردن. دار عالم الكتاب الحديث.